الهجـــرة

قالت الأوْسُ: إن الحرب قد ضَرَّسَتنَا[1]، وأَلقت بصدرها علينا، وهؤلاء بنو عَمَّنا الخزرج قد أَلّبُوا اليهودَ علينا، ليشتدَّ بهم أزْرُهم في القتال، فالتمِسُوا عليهم حِلْفاً عند بعض قبائل العرب.

وكانت الأوسُ والخزرج قبيلتان تَنْحَدِران عن أصلٍ واحد، وتُقيمان في المدينة، ولكن نار الحرب ما كانت بينهما تنطفىء، ولا ثَوْرة الخلاف تهدأ؛ وما زال ما بينهما يشتدَّ، حتى كان يوم «بُعاث»[2]، ففني فيه رؤساء القبائل، وزعماءُ العشائر، ثم وقعت بينهما هُدنة حالفت الخزرجُ فيها اليهود، وأخذت الأوسُ تلتمسُ الْحِلف عند العرب

وفَصَل عن المدينة رَهْطٌ من الأوس: أبو الْحَيسر، وإياس بن مُعاذ، وآخرون؛ وَوَلّوا وُجوهَهم نحو مكة يلتمسون الْحِلفَ عند قريش على بني عمهم من الخزرج وكان رسولُ الله ﷺ لا يعرفُ موسماً يُقَامُ، أو جمعاً يُحْتشد، أو نَفراً يَفِدَ، إلا أذاع فيهم دَعْوته، ونشر رسالته، لا يُبَالي الكَيْدَ ولا الأذى، ولا الصدّ ولا الإعراض، فلهداية البشرية يدعُو، وفي سبيل الله ما يَلَقى.

وسمع بهؤلاء الرّهْط، فأتاهم وجلس إليهم، وقال لهم: «**هل لكم في خير مما جئتُم له**»؟ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: «**أنا رسولُ الله، بعثني إلى العِبَاد، أدعوهم إلى أن يَعْبُدُوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليَّ الكَتابَ**» وتلا عليهم القرآن، ثم ذكر الإسلام.

فقال إياس ـ وكان غلاماً حَدَثاً: أيْ قوم، هذا والله خيرٌ مما جئتم لهُ، فأخذ أبو الحيسر حَفْنَةً من البَطْحَاء فضرب بها وَجْهَ إياس، وقال: دَعْنا منك، فلعمري لقد جِئْنَا لغير هذا!! فصمت إياس، وقامَ رسول الله ﷺ وانصَرَف القوم.

---

(١) ضرستهم الحروب: جربتهم وأحكمتهم.

(٢) بُعاث: موضع في نواحي المدينة كانت به آخر وقائع الأوس والخزرج قبل الإسلام.

وفي الموسم من هذا العام وَفَدَ على مكة نفرٌ من الخزرج، ولقيهم رسول الله ﷺ فقال لهم: «**مَنْ أنتم**»؟ قالوا: نفرٌ من الخزرج، قال: «**مِنْ مَوَالي**[1] **يهود**»؟ قالوا: نعم. قال: «**أفلا تجلسون أُكلِّمكم**»؟ قالوا: بلى. فجلسوا معهُ، ودعاهم إلى الله عزَّ وَجَلَّ، وعرَضَ عليهمُ الإسلامَ، وتلا عليهم القرآن.

فقال بعضهم لبعض: يا قوم، تَعَلَّمُوا والله إنهُ للنَّبيُّ الذي توعَّدكم به اليهودُ، فلا يَسْبِقُنكم إليه. ثم أجابوهُ فيما دعا إليه، وصدَّقوهُ فيما بَلّغَ، وقبِلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركْنَا قومَنَا ولا قومَ بينهم من العداوَةِ والشَّرِّ ما بينهم، وعسى أنْ يجمَعهم الله بك، فسنقدُم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرضُ عليهم الذي أجَبنَاك إليه من هذا الدِّين، فإن يجمَعْهم الله عليه، فلا رجل أعَزّ منك.

ثم انصرَفوا راجعين إلى المدينة، وهناك دَعَوْا قومهم إلى الإسلام، فلقيّ من نفوسهم الكريمةِ قَبُولاً، ومن سُوَيْدَاءِ قلوبهم استئناساً، وفَشَا بينهم الإسلام، ولم تبق دارٌ من دُور الأنصار إلاّ وفيها ذِكْرٌ لرسول الله ﷺ.

واستبشر ﷺ بإيمانهم، وفرح بإسلامهم، واتّسَعَت أمامَه رُقَعةُ الأملِ، وامتدَّتْ خيوطُ الرّجاء، فهؤلاء قريش ما فَتِئُوا يسفِّهون رأيهُ، وَيَحُولُونَ دونَ قَصْدِه، وهم ما بَرِحُوا أيضاً يَقْعدون لأَنصارِه كلَّ مَرْصَد، ويؤذونهم في كل مكان.

ثم هو ﷺ قد عرض نَفْسَه على القبائل، وأعلن دعوتَه في العشائر، أعلنها في ثَقِيف وكِنْدة، وفي بني عامر وبني حنيفة، فلم يكُونوا خيراً من قريش رَأياً، ولا أقلَّ منهم صَدًّا وإعراضاً. أمَّا هؤلاء القوم من الخزرج فلم يجد عُسْراً في إيمانهم، ولم يَلْقَ جهداً في إقناعهم، إنهم آمنوا مخلصين، وهُدُوا مطمئنين، ومَنْ يدري! لعلهم يكونون من أنصاره وأعوانه، ومن شِيعته وخُلَصَائه.

* * *

ومضى عام، وترقَّبَ رسول الله ﷺ الموسم: موسم الحجيج وإذا اثنا عشر يَفِدون مسلمين: اثنان من الأوس، وعشرة من الخزرج، وأعلنوا للرسول إسلامَهم، ومدّ يدَهُ الكريمة لبَيْعتهم، فبايَعُوه وعَاهَدُوه ألا يُشْرِكُوا بالله شيئاً، ولا يَزْنوا، ولا يقتلوا أوْلادهم،

(١) الموالي جمع مولى: وهو الحليف.

ولاَ يأتوا ببُهْتان[١] يَفْتَرُونه بين أيديهم وأرْجُلهم، ولا يَعْصُوا الله في معروف؛ فإن وَفَّوْا فلهم الجنَّة، وإن غَشُّوْا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله، فإن شاء عَذّبَ، وإن شاءَ غَفَر. ثم عاهدهم على كتمان أمرهم عن قريش، وَوَعَدهم اللقاء في العام المقبل.

وأرسل معهم رسولُ الله ﷺ مصعبَ بن عُمَير، يفقِّههم في الدين، ويُقرئهم القرآنَ، ويُعَلِّمهم قواعدَ الإسلام.

وعادوا إلى المدينة ونورُ الله يُضيءُ بين جوانحهم، وسِمَاتُ الإسلام تَعْلو وُجُوهَهم.

ومضتِ الأيامُ، ودعوةُ الرسول ﷺ تصادفُ في نفوسِهم مكاناً خَصِيباً، وصَدْراً رَحِيباً، وذهبت من نفوسهم الأحقادُ، وذابت الأضغان، وَصَفَتِ منهمُ القلوب، حتى كان العامُ المقبل، فوفدَ على المدينة ـ فيمَنْ وَفد عليها ـ سبعونَ رجلاً وامرأتان من مُسْلِمي الخزرج والأوس، وعلم رسول الله ﷺ بقدومِهِمْ، فَوَاعَدهم العَقبة[٢] من أوسط أيام التَّشْرِيق[٣].

ولما كان الموعد، ومضى من الليل ثُلُثُهُ، خرجُوا من رِحَالهم مُسْتَخْفين، يتسللون تَسَلُّلَ القَطَا، حتى اجتمعوا في الشِّعْبِ عند العقبة، ثم أقبلَ رسول الله ﷺ، ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو وإن كان على دين قومِه، إلا أنه أحبَّ أنْ يحضُرَ أمرَ ابن أخيه ويتوثّقَ له.

قال العباس: يا معشر الخزرج، إن محمداً منا حيثُ قد علمتم، وقد منعناهُ من قومنا مِمَّنْ هو على مِثْل رأينا فيه؛ فهو في عزَّةٍ من قومه، ومَنَعَةٍ في بلده، وإنه قد أبَى إلاَّ الانحياز إليكم، واللحاق بكم، فإن كنتم تَرَوْن أنكم مُسْلِمُوهُ، وخاذِلُوهُ بعد الخروج إليكم فمن الآنَ فدعُوهُ، فإنه في عزّةٍ ومَنْعَةٍ من قومه وبلده.

فقالوا: قد سمعنا ما قلت، فتكلّمْ يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. فتكلم رسول الله ﷺ، وتلا القرآن، ودعا إلى الله، ثم قال: «**أُبايِعُكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**».

---

(١) البهتان: الكذب المفترى.

(٢) العقبة: منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة.

(٣) أيام التشريق: هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر.

فقام البَرَاءُ بن مَعْرور وقال: نعم! فوالذي بعثك بالحقِّ لنَمْنَعنَّك مما نمنعُ منه ذَرَارِينا[١]؛ فبايعْنَا يا رسول الله، فنحنُ والله أبناءُ الحروب، ورِثْنَاها كابراً[٢] عن كابر.

وقال العباس بن عبادة: يا معشر الخزرج، هل تَدْرُون علام تُبَايعُون هذا الرجل؟ قالوا: نعم! قال: إنكم تبَايعونَهُ على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإنْ كنتُم ترَوْنَ أنكم إذا أنْهكَت أموالكم مصيبةٌ، وذهبت أشرافكم قَتْلاً، أسلمْتُموهُ، فمن الآن؛ فهو والله إن فعلتم خزيُ الدنيا والآخرة. وإن كنتم ترون أنكم وَافُونَ له بما دعوتموه إليه، فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا: فإنا نأخذهُ على مُصِيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَيْنا؟ قال: الجنة؛ قالوا: ابسط يدك نبايعك، ثم بايعوه، واعترض أبو الهيثم، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين اليهود حِبَالاً وإنّا قاطعوها، فهل عسيت إن فعلنا ذلك، ثم أظْهَرَكَ[٣] الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنَا؟!

فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «**بل الدَّمَ الدَّمَ، والهَدْمَ الهدم، أنَا منكم وأنتم مني، أُحاربُ من حاربتم وأسالُم من سالمتم**» ثم قال لهم: «**أخرجُوا إليّ منكم اثنى عشر نَقِيباً**»[٤]. ولما انتخبوا نُقَباءهم قال لهم: «**أنتم كُفَلاَء على قومكم ككفالة الحوارِيين لعيسى، وأنا كفيلٌ على قومي**».

* * *

وشاع في مكة أمرُ البَيْعَة، وعلمت قريشٌ بظهور الإسلام في المدينة، فاضطرب حَبْلُهم، وزادَ غَيْظُهم، واشتدَّت الحفِيظَة في صدورهم، ثم ضاعفوا الأذى بالمسلمين، وأخذوا يوقِعونَ عليهم ضروبَ المِحن، ويَصُبُّون فوق رؤوسهم ألوانَ العذاب: من تنكيل واستهزاء، إلى سخرية وإيذاء. وفيما هم بين ذلك مُضَيَّق عليهم في العبادة، مضطهَدُون فيما يعتقدون؛ فساءت حالُهمْ، وكثرت أحزانُهُم، ورأى رسول الله ما هم عليه من مِحْنةٍ وفتنةٍ، فأذِن لهم بالهجرة إلى المدينة، وقال لهم: «**إن الله جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها**».

---

(١) الذرية: نسل الإنسان: أو: النساء والصغار.

(٢) كبره في السن: زاد عليه فيها، فهو كابر.

(٣) أظهر فلاناً على عدوه: أعانه.

(٤) النقيب: كبير القوم المعني بشؤونهم.

فاستجابوا لله وللرسول، وهاجروا إلى المدينة أرْسَالاً[١] ونَزَحُوا إليها جماعات ووحْدَاناً تاركين ـ ابتغاء مرضاةِ الله ـ ديارهم وأوطانهم وأولادهم وأموالهم.

وما عليهم لو هاجروا؟ أليسوا قد امْتُحنوا بأنكى ألوانِ الأذى، وفُتنُوا بأشد صنوف الآلام؟ أو لم يضيّقْ عليهم في العبادة، وتُسَدّ عليهم منافذ الطرقات، فاضطروا للزوم الدُّور أحياناً، والهجرة إلى الحبشة أحياناً؟!

وذلك رسول الله ـ وهو أكْرَمُ من طلعَتْ عليه شَمْس، وأفضل مَنْ أظلّتْهُ سماء ـ ألم يَضَع وَاحِدٌ منهم الثوبَ في عنُقه حتى كادَ يُميته خَنْقاً، ألم يحمِل واحدٌ منهم الحجرَ ليشجَّ به رأسَهُ، ولولا أن عناية اللهِ لاحظتْهُ لأرْدَاهُ قَتِيلاً؟!

هذه مكةُ وقد أصبحت دارَ بَلاَءٍ وعذابٍ، فما المقامُ على دارِ الهَوَان ـ وهم العرب أُبَاة الضيم والإذلال، وهم المسلمون ـ والإسلامُ دين العزَّةِ وَالمنَعَة والحرية والكَرامة. ثم هو الإسلام دينٌ عامٌ شامل، ليس دِين مكة وحدها، وليس دِينَ قريش وحدها، بل هو دينُ البَشَرِ كلهم: حاضرهم ومستقبلهم، ودِين الخلق أجمعين، عربيّهم وعجميهم، وأسودهم وأحمرهم، من تلك الساعة التي هتف فيها محمدٌ داعياً، إلى يوم تتبدَّلُ الأرْضُ غير الأرض والسموات.

وإذن فليخرجْ هؤلاء المسلمون مُهاجِرين إلى المدينة، يَضربون أحسنَ الأمثال، يُلْقُون درْساً على من يُضطهد في عقيدته ممن يأتي بعدهم من الأجيال. وكذلك خرجوا، واستقبلهم الأنصارُ بالمدينة، ولقوا فيها أهلاً بأهل، وجِيراناً بجيران.

عَلِمَ رجالُ قريش خروج المسلمين إلى المدينة؛ فَسُقِطَ في أيديهم، ورأوا أنهم إن لم يتدبَّرُوا في أُمورهم، وينظروا في غَدِهم، فإنّ أمْرَ محمدٍ غالب، وشأنهم في ذهاب؛ فاجتمعوا في دارِ النَّدْوَة يَتشاورُون ويتدبَّرُون، وَيُبْرِمُون وينقضون، وكذلك كانوا يفعلون حين يَحْزُبهم الأمر، وتُشتَبِهُ عليهم الآراء.

واجتمع أشرافهم وَبَهَالِيلهم[٢]، ورؤساؤهم وغطَاريفهم[٣]. ثم قام واحدٌ منهم،

---

(١) أرسال: جمع رسل، وهي الجماعة من الناس.

(٢) بهاليل جمع بهلول: وهو السيد الجامع لصفات الخير.

(٣) غطاريف جمع غطريف: وهو السيد الكريم.

فقال: لقد جمعناكم اليوم ليُدْلِيَ كلُّ واحد منكم برَأيِه في محمد، فهو كما علمتم قد ظهر أمره واتَّضَح، وقد جاوز مكَّة، وامتدَّ إلى يثرب، وربما امتدَّ إلى غيرها من البُلْدَان. واعلموا قبل أن تَتَشقّقُوا بالآراء، أنَّا قد فتَنَّاه بأنواع الأذى، فوجدناه صابراً جليداً، وأنّا بَلَوْنا أصحابه بصنوفِ المِحَنِ، فوجدناهم صامِدين أقوياء.

ولقد ارتاحت نفوسُنا حينما علمنا ما لَقِيَه من خِذْلان عند بني حنيفة، ومن كَيْدٍ وأذى في ثَقِيف، ومن تكذيبٍ عند غيرهما من أحياء العرب، بل تنفّسنا الصُّعَداء حين مات أبو طالب، ذلك الذي يُؤْويه وَيَنْصُره، ويحميه وَيُخْفرُه[1]، ولكن واأسفاه! لقد وجد اليومَ عند الخزرج عَضُداً ونَصِيراً، ووَلِيًّا وظهيراً، بل لقد أصبحوا بعد دَعْوَته فيهم إخواناً وكانوا أعداء، وأقوياء وقد كانوا مُتَخاذلين ضُعَفاء، وذهبتْ من صُدُورهم الإحَن، وَامَّحت الأحقاد.

وليت المصيبة وقفَتْ عند هذا الحدّ، ولم تجاوز ذلك المِقْدَار! فها هم أولاء أصحابه قد هُرِعُوا إليهم، وَانْثَالُوا عليهم، غير مُبَالين أوطانهم أو دِيارهم، ولا عابئين بأموالهم ولا أولادهم.

وأكْبَرُ الظنّ أنّ محمداً سيلحقُ بهم، وإذَنْ تكُونُ المصيبة أشد، ويكون الْخَطْبُ أنْكَى، وما تأمنون أنْ يَثِبَ علينا بهم، فيسقط الأمْرُ مِنْ أيدينا، وتعود الدائرةُ علينا.

قال أبو البَخْتَرِيّ بن هشام: احْبِسُوه في الحديد، وغلِّقُوا عليه الأبواب، حتى يصيبَه ما أصاب غيره من الشُّعَراء.

قالوا له: ليس هذا برَأي، وقد علمتم أصحابه، وحُبَّهم له، وتعلّقهم به، وإنه ليُوشك ـ لو علموا ـ أن يُكَاثرُونا، وَيُطْلِقُوه من أيدينا، فلا نكون قد صَنَعْنا شيئاً.

وقال أبو الأسود ربيعة بن عَمْرو: نخْرِجُه من بين أظْهُرنا، وَنَنْفِيه من بلادنا؛ فإذا خرج عنّا فوالله ما نُبَالي أين ذهب ولا حيْثُ وقع!

قالوا: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروْا حُسْنَ حديثِه، وحلاوَة مَنْطقه، وغَلبَته على قلوب الرجال بما يَأتِي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمِنتُم أن يحُلَّ على حي من

(١) يخفره: يجيره ويحميه.

العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه، حتى يُتَابِعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم، حتى يَطَأَكُم بهم، فيأخذ أمْرَكمُ من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد. أدِيرُوا فيه رَأياً غير هذا!

وقال أبو جهل بن هشام: والله إنّ لي فيه رأياً، ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا: وما هُو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قَبيلة فَتًى، شابًّا جَلِيداً، نسيباً وَسِيطاً فينا، ثم نعطي كل فتىً منهم سيفاً صارماً، ثم يعمد هؤلاء إليه، فيضربوه بها ضَرْبَةَ رجلٍ واحد فيقتلوه فنستريح منه؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تَفَرَّق دَمُه في القبائل، فلم يقدر بنو عبد مناف على حَرْبِ قومهم جميعاً، ثم يرضوا منا بالعَقْلِ[1]، فَنَعْقِل لهم.

فصفَّقُوا لرأيه، واستراحُوا لقوله، وتفرَّقوا على ذلك. وكان أبو بكر رجلاً رضيَّ القلب، سخيَّ النَّفْس، حُلْوَ الشمائل، أحبَّ رسول الله ﷺ من كل قلبه، وآثره على خاصَّة نفسه، وودّ لو يُفَدِّيه برُوحه ومالِه، وعرف رسول الله ﷺ فيه هذه الصفات؛ فقَرَّبه إليه، وأدْنَاه منه، وسَمَّاه صِدِّيقاً، ودعاه من النارِ عَتِيقاً.

وأذِن رسول الله للمسلمين بالهِجْرة إلا أبا بكر؛ فإنه كلما استأذنه في الرَّحِيل، واستشاره في الذهاب إلى المدينة يستَبْقِيه، ويقول له: لا تَعْجَلْ، لعلَّ الله يجعلُ لك صاحباً؛ فيطمئن أبو بكر، ويودّ لو يكون الرسولُ صاحبَه في هِجْرَته، ورفيقَه في سَفْرَته، ولهذا اشترى رَاحِلَتَيْن أعَدَّهُما ليومِ رحيل.

ويومَ أن اجتمَعَتْ قريشٌ في دارِ نَدْوَتها، وأعدَّتْ مَكْرَها، وهيَّأت كَيْدَها، أوْحىٰ الله إلى رسوله: إنّ القوم قد أجمعوا لك كَيْداً، وبيَّتُوا[2] لك مَكْراً، ولكنَّ الله عاصِمُك من كيْدِهم، وحافِظُك من مَكْرِهم؛ فخذْ عزْمك للسفر، وهيىء نَفْسَك للرَّحيل إلى المدينة.

فتوجَّه الرسولُ مِنْ ساعتِه لأبي بكر وقال له: «**يا أبا بكر، إنّ الله قد أذِن لي في الخروج والهجرة**». فقال أبو بكر: الصُّحْبَة يا رسول الله. فقال رسول الله: «**الصحبة**»، ووَاعده العَتَمَة[3]. وفرح أبو بكر، وراح يُهيِّىء الراحلتين.

وعاد رسول الله ﷺ إلى داره، وهو عالم أنَّ القوم سيُحِيطون به، وفي أيديهم

---

(١) العقل: الدية ونعقل لهم أي نعطيهم الدية.
(٢) بيَّت الشيء: دَبَّره ليلاً.
(٣) عتمة الليل: ظلام أوله بعد زوال نور الشفق.

سِلاَحُهم، وبين جوانبهم كيْدُهم ومَكْرهم؛ وجاء القومُ، وتربَّصُوا ينتظرون خرُوجَ رسول الله ﷺ، ولكنه لم يَعْبَأ بجَمْعِهم، ولم يُبَالِ كيْدَهم؛ لأنَّ الله وَعَدَهُ العِصْمَة، ومنّاهُ النَّجَاة؛ وما انتصف الليلُ حتى خرج عليهم بعد أنْ أمر عليًّا أنْ ينام في فراشه، وأن يَتَسَجَّى[١] ببُرْده، وألقى الله عليهم النوم فناموا، وخرج رسول الله ﷺ وسلم فلم يَنْتَبِهُوا، ويمكرون ويمكرُ الله، والله خيْرُ الماكرين.

وذهب رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر، وخرجا من خَوْخَة[٢] هناك، وسارا حتى بلغا غَارَ ثَوْر[٣]، وهناك كمنَا فيه. أما القومُ الذين ظلّوْا يترقبون خروجَ الرسولِ ﷺ ليقتلوه، فقد كشف لهم الصَّبَاحُ أنهم إنما بَاتُوا يحرُسون عليَّ بن أبي طالب، لا محمد بن عبد اللَّه! وعندئذٍ ذُعِرُوا وَهُرِعُوا إلى أشرافهم، وهؤلاء أدركتهم الْحَيْرَةُ، وعلاهم الوُجُوم.

وذهب أبو جهل إلى منزل أبي بكر، وسأل أسماء بنته: أين أبوك؟ فقالت له: لا أدري؛ فلطمها على وجهها، ثم خرج مع قومه يَقْتَفُون الأثر، حتى وصلوا إلى الغَار! ولكن الله ردَّهُم على أعقابهم، وخذلَهم في كيْدِهم: إذْ بَان لهم أنه غارٌ مهجور، وأنه مكانٌ لم تطأْ قَدَمٌ منذ أزمان!

ثم عادُوا إلى مكةَ، وجعلوا لمن يدلُّ على محمد مائةَ ناقة. وعرض سُرَاقةُ الكناني لهذا الأمر، وأعَدَّ نفسه لتلك الغاية، على أنْ يُوفُوا له بالشرط، ويأخذ النِّيَاق إذا دلهم عليه.

ومكث رسولُ الله وصاحبه في الغَارِ ثلاثةَ أيام، يمرُّ عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر بالأغنام في أعقابِ اليوم، فيحتلبان ويشربان، ويأتي لهما عبدُ اللَّه بن أبي بكر بالأخبار حتى سكنَ الطّلَب، وغَفَل عنهما، الناس.

وجاءهما عبدُ اللَّه بن الأرَيْقط بالراحلتين، وخرجا متوجِّهين إلى المدينة، وأبو بكر لا يَفْتأُ يذكرُ الطلب فيتلَفّت خَلْفَه، ويخاف الرَّصَد فيتلفت أمامه، حتى أدركهما سُرَاقة، وما اقترب منهما حتى عَثَرَ به فرسُه، وساخَتْ[٤] قوائمه في الأرض، ثم ثار مِنْ حوله

(١) يتسجَّى: يتغطَّى.
(٢) الخوخة: كوة في البيت تؤدي إليه الضوء.
(٣) غار ثور: غار بجبل ثور من جبال مكة.
(٤) ساخت قوائمه: غاصت في الأرض.

الدُّخان والإعْصَار، فأدرك سُراقةُ أنَّ محمداً رسول الله ممنوعٌ منه، ولهذا استغاث واستنصر، على ألاَّ يُـخْبرَ قريشاً بشيء مما رَأى، فدعا له الرسولُ، وعاد سُراقة ولم يَـقُلْ لقومه شيئاً.

* * *

ونعودُ إلى المسلمين من أهل المدينة، فإذا بهم يَـخْرجُونَ إلى ظاهر البَـلَدِ كلَّ يوم، من ساعة أنْ علموا بخروجه عن مَـكَّة، لا يعودون إلى منازلهم حتى تَـغْلبَهم الشمسُ على الظلال، إلى أن كان يومٌ سفَـعَـتْهم[١] الشمس، وتحرّقت منهم الأقدام، فرجعوا إلى منازلهم، وما رَاعَهم إلا صائح يَهْتِفُ بهم: إنّ محمداً قد جاء، فخرجُوا إليه مُـهَرْولين، وإذا به ورَفيقه أبو بكر يتفيَّآن ظلالَ النخيل، فأحلوُّه في قلوبهم، وحاطوه بنفوسهم، ونزل على بني عمَرْو بن عَوف، وأقام فيهم أياماً، وأسَّس المسجد بقُباء[٢].

ثم خرج بناقته، وقد وضع لها زِمامَها، وكلَّما مرت بقوم تهافَتُوا عليها، وقالوا للرسول: هلمَّ يا رسولَ الله إلينا، إلى العَـدَدِ والعُـدَّة والمَـنَعة، ولكن رسول الله ﷺ يقول: «**خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة**» وما زالت تسيرُ حتى إذا أتَتْ دارَ مالك بن النجار بركت على بابِ المسجد، وهو يومئذٍ مرْبَـدُ[٣] تَـمْرٍ لسَهْل وسُهَيْل ابني رافع بن عمرو، وهما يتيمان في حِجْرِ أسعد بن زُرَارَة، ثم سارت ورسول الله ﷺ عليها، حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري، فقال عليه السلام: هاهُنَا المنزل إن شاء الله ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٤] فاحتمل أبو أيوب رَحْلَه، ووضعه في منزله، وجاء أسعد بن زُرَارة، فأخذ بزِمَامِ ناقتِه. فكانت عنده.

ثم دعا مَنْ جاء مِنْ مكَّة، وسمَّاهم مُـهاجرين، ومَنْ أسلم مِنْ أهل المدينة وسمَّاهم أنصاراً، وآخَى بينهم، وجمعهم على المحَجَّةِ[٥] الواضِحَة، والصراط المسقيم، ثم بدأ يستأنِفُ الدعوةَ إلى الله بعَـزْمٍ جَديد.

---

(١) سفت الشمس وجوههم: لفحتهم لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرتهم وسودتهم.
(٢) قباء: مدينة على بعد ميلين من المدينة المنورة.
(٣) المربد: ما يجفف فيه التمر.
(٤) سورة: المؤمنون، الآية: ٢٩.
(٥) المحجة: الطريق المستقيم.